فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان في جوف تلك الليل خرج يونس عليه السلام
من بين اظهرهم فلما اصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق روسهم قدر ميل
وقال وهب غامت السماء غيما عظيما اسود هائلا يدخن دخانا عظيما فهبط
حتى غشي مدينتهم واسودت سطوحهم فلما راوا ذلك ايقنوا بالهلاك فطلبوا
يونس بينهم فلم يجدوه وقذف الله في قلوبهم التوبة فخرجوا الي الصعيد بانفسهم
ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح واظهروا الايمان والتوبة
واخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب فحن
بعضها الي بعض وعلت اصواتها واختلطت باصواتهم وعجوا وتضرعوا الي
الله تعالى وقالوا امنا بما جاء به يونس عليه السلام فرحمهم الله تعالى واستجاب
دعاهم وكشف عنهم العذاب بعد ما اظلهم وكان ذلك يوم عاشورا يوم
الجمعة وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه بلغ من توبتهم ان ردوا المظالم
حتى ان الرجل كان يقلع الحجر وكان قد وضع عليه اساس بنيانه فرده وقيل
خرجوا الي شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم
قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها
فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت
وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله وسياتي
بقية القصة ان شاء الله تعالى في سورة الصافات فان قيل قد حكى الله تعالى
عن فرعون انه تاب في اخر الامر ولم يقبل توبته وحكى عن قوم يونس انهم
امنوا وقبل توبتهم فما الفرق بين الحالين اجيب بان فرعون انما تاب بعد ان
شاهد العذاب وهو وقت الباس من الحياة واما قوم يونس فانهم تابوا قبل ذلك
فانهم لما ظهرت امارات دلت على قرب العذاب تابوا قبل ان ينزل بهم ولم يباشرهم
فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية وان الله تعالى قد علم صدق نياتهم
في التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون فانه لم يصدق في ايمانه ولا اخلص فلم
يقبل منه قال الله تعالى **ولو شاء ربك** يا محمد **لآمن** بك وصدقك **من
في الارض كلهم** بحيث لم يشذ منهم احد **جميعا** اي مجتمعين على ذلك فيه
واحدا لا يختلفون في شيء منه ولكن لم يشا ان يصدقك ويؤمن بك الا من سبق
له السعادة في الازل وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فانه كان
حريصا على ايمانهم كلهم فاخبر الله تعالى انه لا يؤمن به الا من سبق له السعادة
الازلية فلا تتعب نفسك على ايمانهم وهو قوله تعالى **افانت تكره الناس** اي
الذين لم يرد الله ايمانهم **حتى يكونوا مؤمنين** اي ليس ايمانهم اليك حتى تكرههم
عليه وتحرص عليه انما ايمان المؤمن واضلال الكافر بمشيئة الله
تعالى وقضائه ليس لاحد ذلك سواه كما قال تعالى **وما كان** اي وما ينبغي وما
يتاتى **لنفس** اي واحدة فما فوقها **ان تؤمن** اي يقع منها ايمان في وقت ما

الا باذن

الا باذن الله اي بارادته لها بالايمان فان هدايتها الى الله هو المضل والمهدي وقال
ابن عباس بامر الله وقال عطا بمشيئة الله **ويجعل** الله **الرجس** اي العذاب والخذلان
فانه بسببه وقرا شعبة وحده بالنون **على الذين لا يعقلون** اي لا يتدبرون في ايات الله
فينتفعون بها وهم يدعون انهم اعقل الناس يتساقطون في مساوي الاخلاق
وهم يدعون انهم ابعد الناس عنها فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ولما بين
الله تعالى في الايات السابقة ان الايمان لا يحصل الا بتخليق الله تعالى ومشيئته
امر بالنظر والاستدلال في الدلايل بقوله تعالى **قل انظروا** اي قل يا محمد لهولاء
المشركين الذين يسالونك الايات **ماذا** اي الذي **في السموات والارض** اي من
من الايات واوضح الدلالات من عجايب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته
ففي العالم العلوي الشمس والقمر وهما دليلان على الليل والنهار والنجوم وحركات
الافلاك ومقاديرها واوضاعها والكواكب وما يختص بذلك من المنافع وفي العالم
السفلي الجبال والبحار والمعادن والنبات والحيوان واخصها حال الانسان
كل ذلك من الايات الدالات على وحدانية الله تعالى وانه خالقها كما قال القايل
وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد وقرا حمزة وعاصم في الوصل بكسر اللام
والباقون بضمها واما الهمزة من انظروا فكل القرا يبتدون بالضم **وما
تغني الايات** اي وان كانت في غاية الوضوح **والنذر** جمع نذير اي الرسل
عن قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه تنبيه قال النحويون ما هنا تحتمل
وجهين ان تكون نفيا بمعنى ان هذه الايات والنذر لا تنفع الفايدة في حق من
حكم الله تعالى عليه بانه لا يؤمن كقولك ما يغني عنك المال اذا لم تنفق والثاني
ان تكون استفهاما كقولك اي شيء يغني عنك عنهم وهو استفهام بمعنى
الانكار **فهل** اي ما **ينتظرون** اي اهل مكة بتكذيبك **الا** اياما اي وقايع
مثل ايام اي وقايع **الذين خلوا من قبلهم** اي من مكذبي الامم كالقبط وقوم نوح
وما انطوى بينهما من الامم اي مثل وقايعهم من العذاب **قل** اي قل لهم يا محمد
فانتظروا اي العذاب **اني معكم من المنتظرين** اي لنزول العذاب بكم وقوله
تعالى **ثم ننجي رسلنا والذين امنوا** عطف على محذوف دل عليه قوله تعالى الا مثل ايام
الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن امن بهم على حكاية
الاحوال الماضية وقرا ابو عمرو وحده بسكون النون **كذلك** اي ننجيا رسلنا
والذين امنوا معهم من الهلاك كذلك **حقا علينا ننج المؤمنين** اي ننجيك يا محمد
ومن امن معك وصدقك من الهلاك والعذاب فان قيل قوله تعالى حقا يقتضي
الوجوب والله تعالى لا يجب عليه شيء اجيب بان ذلك حق بحسب الوعد والحكم
لا انه حق بحسب الاستحقاق ولما ثبت ان العبد لا يستحق على خالقه شيء وهو اعتراض
بين المشبه والمشبه به ونصب بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك وقرا حفص
والكسائي بسكون النون بسكون النون الثانية والباقون بفتحها واما الوقف

Copyright King Saud University